الانزياح في شعر الخصيبي

م.د. لمى شمخي جابر

قسم اللغة العربية كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ذي قار

dr.luma.s. jabber @utq.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة ظاهرة "الانزياح" في شعر الحسين بن حمدان الخصيبي، بوصفها أداة تعبيرية وجمالية تعكس خصوصية تجربته الشعرية والعقائدية. يبدأ البحث بتوضيح مفهوم الانزياح كما ورد في النقد الأدبي الحديث، مبينًا أن الانزياح لا يعني فقط خرقًا للقواعد اللغوية، بل هو وسيلة لتحقيق وظائف دلالية وجمالية. ثم يقدم لمحة عن حياة الخصيبي وسياق إنتاجه الشعري، مشيرًا إلى تأثير البيئة الباطنية والاضطهاد الطائفي على أسلوبه الغني بالترميز والغموض.

يقوم البحث بتحليل أنواع الانزياح في شعر الخصيبي، مثل:

- **الانزياح اللغوي** :في استخدام الألفاظ المهجورة والرموز الحرفية والأسماء المستعارة.
- **الانزياح الدلالي** :في الصور المجازية والرموز الباطنية والمفارقات المعنوية.
- **الانزياح التركيبي** :في التقديم والتأخير والحذف والالتفات.
- **الانزياح الأسلوبي** :في التكرار، ومزج النصوص الدينية بالشعر، وتنوع النبرة والأسلوب.

ويؤكد البحث أن الانزياح عند الخصيبي تطور عبر المراحل الزمنية، من التحفّظ في البدايات إلى الجرأة في النضج، وانتهاءً بالرمزية العميقة في آخر حياته. كما يُبيّن أن الانزياح لم يكن مجرد تزويق فني، بل وسيلة لبناء بنية فكرية وجمالية تُعبّر عن معتقد الخصيبي وتُميز شعره. ويختم البحث بأمثلة نصية توضح تجليات الانزياح المختلفة في ديوانه.

الكلمات المفتاحية: (الإنزياح ،شعر الخصيبي، اللغوي، التركيبي، الدلالي، الرمزية، التناقض).

Displacement in Al-Khasibi's Poetry

Dr. Lama Shamkhi Jaber

Department of Arabic Language \ College of Educatio

for Human Sciences Thi-Qar University

dr.luma.s. jabber @utq.edu.iq

Abstract

This research examines the phenomenon of "displacement" in the poetry of Al-Hussein bin Hamdan Al-Khusaibi, as an expressive and aesthetic tool that reflects the uniqueness of his poetic and ideological experience. The research begins by clarifying the concept of displacement as it appears in modern literary criticism, demonstrating that displacement does not merely mean a violation of linguistic rules, but rather a means of achieving semantic and aesthetic functions. It then provides an overview of Al-Khusaibi's life and the context of his poetic production, highlighting the influence of the esoteric environment and sectarian persecution on his style, which is rich in symbolism and ambiguity.

The research analyzes the types of displacement in Al-Khusaibi's poetry, such as:

•Linguistic displacement: in the use of outdated words, literal symbols, and pseudonyms.

•Semantic displacement: in metaphorical images, esoteric symbols, and semantic paradoxes.

•Syntactic displacement: in the presentation, delay, deletion, and shifting.

•Stylistic displacement: in repetition, the blending of religious texts with poetry, and the diversity of tone and style.

The research confirms that displacement in Al-Khasibi's poetry evolved over time, from reserve in the beginning to boldness in maturity, and finally to profound symbolism in the later years of his life. It also demonstrates that displacement was not merely an

artistic embellishment, but rather a means of constructing an intellectual and aesthetic structure that expresses Al-Khasibi's beliefs and distinguishes his poetry. The research concludes with textual examples that illustrate the various manifestations of displacement in his collection.

Keywords: (displacement, Al-Khasibi's poetry, linguistic, structural, semantic, symbolic, contradiction)

مقدمة: مفهوم الانزياح في النقد الأدبي الحديث

شهد النقد الأدبي الحديث ظهور مفهوم الانزياح للتعبير عن ظاهرة أسلوبية بارزة في اللغة الشعرية. يُقصد بالانزياح لُغةً الميل والابتعاد(١)؛ أما اصطلاحًا فهو استخدام الشاعر للغة مفردات وتراكيب وصور بطريقة تنحرف عن المألوف والعادي لتحقيق التفرد والإبداع وجذب انتباه المتلقي بمعنى آخر(٢)، يقوم الشاعر بخرق معايير اللغة المألوفة وأعرافها قصد إضفاء مسحة جمالية خاصة وإيصال دلالات غير معتادة. وقد تأثر النقاد العرب بنظريات الأسلوبيّة الغربية في تناولهم للانزياح، مثل تقسيم الناقد جان كوهن له إلى انزياح دلالي (استبدالي) وانزياح تركيبي .ويشمل هذا المفهوم أشكالًا متعددة من الخروج عن norme اللغة :الانزياح اللغوي على مستوى المفردات والتعابير(، الانزياح الدلالي)على مستوى المعنى والصور المجازية (الانزياح النحوي)على مستوى التركيب والقواعد)، وكذلك الانزياح الأسلوبي)على مستوى بنية الخطاب وأسلوب التعبير ككل(3)

تنبع أهمية الانزياح من كونه سمة فارقة للشعرية تميز النص الأدبي عن الكلام العادي. فبانتهاك التوقعات اللغوية المعتادة، يُحدث الشاعر أثرًا جماليًا يثير دهشة القارئ ويستوقفه أمام تراكيب غير مألوفة أو صور مدهشة. ومع ذلك، يجدر التنبيه إلى أن الانحراف عن المألوف ليس غاية في حد ذاته؛ إذ يؤكد النقاد أن المخالفة الشكلية لا تكفي لصنع الشعرية ما لم تكن وراءها قيمة فنيّة وجماليّة تعبر عن معنى أو عاطفة مقصودة(٤)

من هذا المنطلق، سنحاول في هذا البحث استكشاف مختلف أنواع الانزياح في شعر الحسين بن حمدان الخصيبي، وبيان كيفية توظيفها فنيًا وفكريًا عبر مراحل إنتاجه الشعري.

نبذة عن الشاعر الخصيبي وسياق إنتاجه الشعري

الحسين بن حمدان الخصيبي (ولد ٢٦٠هـ/٨٧٤م – توفي ٣٥٨هـ/٩٦٩م) يعدُّ من أبرز الشخصيات الأدبية والدينية في القرن الرابع الهجري (5)كان زعيمًا للطائفة العلوية (النصيرية) في عصره وأحد أكبر شيوخها تاريخيًا . نشأ في أجواء دينية باطنية مضطربة سياسيًا واجتماعيًا؛ تتلمذ على دعاة المذهب العلوي وانتقل بين عدة حواضر إسلامية. استقرّ به المقام في حلب حيث حظي بحماية سيف الدولة الحمداني (حاكم حلب آنذاك) وكان يؤمّه في الصلاة .وقد ألّف كتبًا عقائدية مهمة للطائفة (مثل *الهداية الكبرى* و*كتاب المائدة*)إلى جانب ديوان شعره الذي لم يُعرف على نطاق واسع إلا بعد طباعته حديثًا. يشير المؤرخون إلى أن شعره كاد يطوى في زوايا النسيان لكثرة ما فيه من خصوصية وغرابة(6).

تميزت البيئة التي أبدع فيها الخصيبي بالتقيّة والغموض نظرًا لوضعيته الحساسة كشيخ لطائفة غير سائدة محاط بالخصوم. هذا المناخ فرض على شعره سمات خاصة: فقد لجأ إلى التعبير المراوغ والترميز الباطني لإيصال أفكاره إلى خاصته من غير أن يفهمها أو يرفضها عامة الناس. تصف إحدى الدراسات الحديثة شعر الخصيبي بأنه زاخر بألفاظ صعبة وإيحاءات مبهمة ورموز باطنية لا يفك شيفرتها بسهولة إلا من تعمّق في ثقافة تلك الجماعة(٧) . كما أن موضوعاته الشعرية تركزت غالبًا حول مديح أهل البيت النبوي والتعبير عن عقيدته الولائية، مع التعرض الضمني لخصومه العقائديين .فهو يمدح الإمام علي وآل البيت بحرارة المؤمن العارف، ويوجه النقد اللاذع – أحيانًا المبطّن وأحيانًا الصريح – إلى من يخالف معتقده. وقد انعكست هذه الازدواجية –المديح من جهة والنقد من جهة أخرى – في لغة شعره وأسلوبه كما سنرى. إذ نجد قصائد يُجِلّ فيها بعض رموز الإسلام السائد *"إجلال أهل السنة"* ، بينما يضمن قصائد أخرى هجاءً مريرًا لشخصيات معروفة ولكن تحت أسماء مستعارة(٨)، كل ذلك جعل شعر الخصيبي ميدانًا ثريًا لتحقق ظواهر الانزياح المختلفة: اللغوية والدلالية والنحوية والأسلوبية، والتي سنعرض لها بالتفصيل مع أمثلة نصية من ديوانه.

الانزياح اللغوي في شعر الخصيبي

المقصود بالانزياح اللغوي هو انحراف الشاعر في اختياره للمفردات والتعابير عن المعتاد في الاستخدام اليومي أو الفصيح المألوف. في شعر الخصيبي تتجلى هذه الظاهرة بوضوح عبر انتقائه لألفاظ غريبة واستحداث تسميات خاصة ذات دلالة باطنية. من أبرز مظاهر ذلك:

- **استعمال ألفاظ مهجورة أو نادرة** :اعتمد الخصيبي أحيانًا على كلمات غير شائعة في اللغة ليصف بها أعداءه أو حالاته الشعورية. مثال ذلك لفظ «*الطِّغام* «الذي ورد في أحد أبياته، وهو جمع يُشير إلى أراذل الناس وأوغادهم (9)مثل هذا التعبير يعدّ انزياحًا لغويًا لأنه ليس مألوفًا في السياق الشعري التقليدي لوصف الخصوم، فهو لفظ شديد الغرابة يوظّفه الشاعر لتعميق نبرة الاحتقار والسخرية. وكذلك نجده يستعمل لفظ «*النعثل*) «وهو الذكر من الضباع ويُكنّى به عن الشيخ الأحمق) في سياق هجائي للدلالة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حيث كان أعداء عثمان يصفونه بـ"نعثل" على سبيل التحقير(10). هذا توظيف ذكي للغة التراثية الخاصّة يحمل في طيّاته شحنة تهكمية وانزياحًا عن التسميات المباشرة.
- **ابتكار أسماء رمزية مستعارة** :أكثر ما يلفت الانتباه في معجم الخصيبي اللغوي نعته لبعض الشخصيات التاريخية بأسماء حركية رمزية .فقد أطلق على الخليفة الأول أبا بكر لقب «*عتيق* «وعلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لقب «*حبتر*) «ومعناه الثعلب القصير الذيل(١١) . هذه التسميات الغريبة تعد انزياحًا لغويًا واضحًا؛ فهي ألفاظ عادية في أصل معناها اللغوي لكنها استخدمت عند الخصيبي كرموز مشحونة بالدلالة السلبية ضد تلك الشخصيات. فالقارئ غير المطلع يقف حائرًا أمام لفظ "حبتر" مثلًا حتى يعرف من خلال الشروح أنه يقصد به شخصًا بعينه (عمر بن الخطاب) بوصف غير مباشر يحمل التحقير. ومثل ذلك استخدامه «*شنبوية* « و*«قزمان»* وغيرها كأسماء غامضة لجماعات أو أفراد خصوم (١٢) .هذه الشفرة اللغوية منحته قدرة على تمرير رسائله النقدية سرًا ضمن نصّه الشعري دون تصريح مباشر.
- **الحروف والاختصارات الرمزّية** :بلغ الانزياح اللغوي مداه الأقصى عند الخصيبي بابتداع رموز حرفية لأسماء مقدسة في عقيدته. فهو يشير إلى النبي محمد والإمام علي والصحابي سلمان

الفارسي بحروف «*ميم وعين وسين*» على التوالي .alwaraq.netكما يكرر رمز «*سلسل*» ويريد به *سلمان* أيضًا .alwaraq.netهذا الأسلوب يُذكّرنا بالكتابات الصوفية والباطنية التي تستخدم الحروف والأرقام كرموز مكنّاة. إنه انزياح لغوي لأن الشاعر استبدل الأسماء المعروفة برموز تجريدية تحتاج إلى تفكيك وتأويل. والغاية الفنية هنا مزدوجة: من ناحية إضفاء هالة سرية على النص تزيده عمقًا وغموضًا جماليًا، ومن ناحية أخرى مخاطبة الخاصة من جمهوره ممن يفهمون تلك الشفرة دون غيرهم. فاللغة عند الخصيبي لم تعد أداة توصيل مباشر فحسب، بل غدت رموزًا وإشارات تنفتح على مستويات مختلفة من الفهم، وهذا بحد ذاته خروج باللغة الشعرية عن طورها المألوف إلى طور ابتكاري خاص(١٣).

وخلاصة القول، يظهر الانزياح اللغوي في شعر الخصيبي عبر فردانية معجمه الشعري :ألفاظ نادرة وقاسية أحيانًا، وتسميات بديلة مليئة بالإيحاءات. هذه الاختيارات اللغوية الشاذة عن المعيار المألوف لم تكن عشوائية، بل ساهمت في بناء شخصية الشاعر المفردة وفي إيصال رسائله المستترة لجمهور يفهم مراميه.

الانزياح الدلالي (المعنوي) في شعر الخصيبي

يقصد بالانزياح الدلالي انحراف المعنى عن سياقه العادي أو الظاهري إلى معنى آخر غير متوقع –وهو يشمل المجاز بأنواعه من استعارة وكناية وتشبيه مبتكر، وكذلك التناقضات والمعاني المفارِقة. وشعر الخصيبي حافل بمثل هذه الظواهر التي يخترق بها أفق توقّع القارئ ليقدم معاني غير مألوفة أو صُوَرًا ذهنية مدهشة. فيما يلي بعض أبرز تجليات الانزياح الدلالي في شعره:

- **الصور والاستعارات الدينية المبتكرة** :استثمر الخصيبي ثقافته الدينية الباطنية في صياغة صور شعرية غير معتادة. فهو كثيرًا ما يصوّر أهل البيت النبوي بأنوار سماوية أو كواكب مشرقة، ويخلع عليهم صفات قدسية تتجاوز المألوف. على سبيل المثال، ينقل الرواة أنه افتتح إحدى قصائده بمخاطبة الإمام الحسين شهيد كربلاء بقوله" :سلامٌ على النور المضِيءِ بكربلا "...وفيه

يجعل من الإمام نورًا إلهيًا مشعًا(١٤) .مثل هذه الاستعارة (تشبيه الإمام بالنور الرباني) تُعد انزياحًا دلاليًا جريئًا لأنها تمزج بين البشري والإلهي في صورة واحدة. كذلك عرف عن الخصيبي جرأته في إطلاق أوصاف لاهوتية على الإمام علي؛ فلا يستغرب أن نجد في شعره تلميحات إلى الحلول أو التناسخ، كأن يتحدث عن روح إلهية متجلية في عليّ – وهو صدى لمعتقده – فيعبّر عن ذلك بلغته الشعرية عبر مجازات تتجاوز حدود العقيدة الرسمية. هذه الانزياحات الدلالية (أي المعاني المنحرفة عن المألوف دينيًا (أكسبت شعره عمقًا روحانيًا وأثارت حوله جدلًا أيضًا، حتى أن بعض شُرّاح الشعر اتهموه بالإفراط الذي يلامس الكفر في تمجيده لبعض الشخصيات(١٥)

- **التناقضات والمفارقات الشعرية** :عرف الخصيبي كيف يُحدث الدهشة بتوظيف معانٍ متناقضة ظاهرًا لترسيخ معنى جديد. فمثلاً البيت الشهير المنسوب له» :يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا – نحن الضيوف وأنت ربُّ المنزل«(١٦) يجسد مفارقة رائعة بانقلاب الأدوار بين الضيف والمضيف. فهذا القول ينطوي على تناقض ظاهري (كيف يكون المضيف ضيفًا والضيف رب منزل؟ لكن المقصود هو المبالغة في إكرام الضيف حتى يشعر كأنه صاحب المكان والمضيف مجرد زائر. إنها مفارقة معنوية تأسر الذهن وتترك أثرًا عميقًا في نفس المتلقي، وتمثل انزياحًا دلاليًا لأن المعنى المألوف للعلاقة بين الضيف والمضيف انقلب رأسًا على عقب لتحقيق غرض شعري. ومثلها كثير من لقطات شعر الخصيبي التي تعتمد قلب المعاني المألوفة لإبراز معنى جديد. فهو أحيانًا يمدح خصومًا على نحو ساخر بحيث يفهم العارف أنه هجاء مستتر، وأحيانًا يصوغ التهديد بصورة المدح والعكس بالعكس، وهذه كلها انزياحات في دلالة الخطاب تتطلب فطنة وتأويلًا(١٧)
- **الرموز الباطنية ذات الدلالة الخاصة** :سبق وذكرنا في الانزياح اللغوي كيف يستخدم الخصيبي حروفًا وأسماء رمزية (مثل ميم وعين وسين (للإشارة إلى شخصيات مقدسة. هذا الاستخدام في جوهره انزياح دلالي أيضًا، لأن تلك الحروف في ذاتها لا تحمل المعنى للشخص العادي، لكنها عند مجتمع الخصيبي شفرات ذات مدلول معنوي عميق .فحرف الميم)مثلاً) الذي هو مجرد حرف من حروف الهجاء، ينزاح دلاليًا ليصبح رمزًا إلى النبي محمد (١٨) ، أي أنّه يكتسب معنى جديدًا اصطلاحيًا خاصًا. ومثل ذلك قوله في بعض المواضع »سنسل «قاصدًا سلمان الفارسي، فهذه الكلمة في أصلها تعني "السلسال أو المتسلسل"، لكنها أُفرغت من معناها الأصلي

لتصبح علامة على شخص محدد(١٩) وهكذا خلق الشاعر معجمًا دلاليًا باطنيًا موازياً للمعجم الظاهري. هذا اللون من الترميز يمنح النص ثراءً دلاليًا، حيث يوجد معنى ظاهر يفهمه الجميع ومعنى باطن لا يفكّه إلا الخواص، وهو لون فريد من الانزياح في المعنى.

- **المبالغة الخيالية (الهايبربول)** : لا يخلو شعر الخصيبي من صور المبالغة والتخييل الجامح التي تتجاوز حدود الواقع. فهو يصور مثلًا الانتقام الأخروي من خصوم أهل البيت بصور مرعبة تفوق التصور. جاء في شعره ما يفهم منه أن المهدي المنتظر سوف ينبش قبري أبي بكر وعمر ويخرجهما ويصلبهما كأنهما دُفنا تَوًّا .لا شك أن هذه الصورة عجائبية متطرفة، تمثّل انزياحًا دلاليًا عن المألوف دينياً وأخلاقيًا .إنها شديدة الغرابة قصد منها الشاعر إظهار ذروة الانتقام الإلهي من المغتصبين – بحسب معتقده. وقد علّق أحد الباحثين على أمثال هذه المبالغات بقوله »يجوز في الشِعر ما لا يجوز في غيره (20)في إشارة إلى أن الشعر يتسع لمثل تلك الخيالات التي لا يُقرّها المنطق في النثر العادي. وهكذا استخدم الخصيبي خياله الشعري في خرق حدود المعقول أحيانًا، لصدمة المتلقي وإيصال مشاعر الانتقام أو التشفّي بأقسى صورة ممكنة. ورغم أن هذه المبالغات قد لا تُؤخذ على حقيقتها، إلا أنها أدّت وظيفة دلالية مهمة في سياق النص: جعلت الفكرة العقدية (ضرورة القصاص الإلهي) محسوسة ملموسة أمام القارئ بصورة درامية لا تُنسى.

باختصار، يتجلى الانزياح الدلالي في شعر الخصيبي عبر صور مجازية جريئة، ومفارقات معنوية، ورموز باطنية، ومبالغات خيالية، كلها تساهم في كسر أفق التوقع وإغناء الطبقة الدلالية للنص. وقد سخّر الشاعر هذه الأدوات ليعبر عن معتقده وأحاسيسه بطريقة موارية وأحيانًا صادمة، مما أضفى على شعره فرادة فكرية وأسلوبية داخل سياق الشعر العربي في عصره(٢١).

الانزياح النحوي (التركيبي) في شعر الخصيبي

الانزياح النحوي يعني مخالفة التركيب النحوي المألوف في الجملة العربية لأغراض جمالية أو إيقاعية. والشعر العربي منذ القديم يتيح للشاعر حريات تركيبية أوسع من النثر، وشعر الخصيبي ليس استثناءً؛ إذ نجد فيه انزياحات نحوية متعددة من تقديم وتأخير، وحذف، والتفات، وغيرها من خصائص التركيب الشعري. من أبرز سمات الانزياح النحوي في شعره:

- **ظاهرة التقديم والتأخير** :وهي أكثر صور الانزياح التركيبي شيوعًا في في شعر الخصيبي(٢٢)، نجد تقديم ما حقّه التأخير لتحقيق غايات إيقاعية أو معنوية. فمثلًا قد يقدّم المفعول به أو الحال في أول البيت ويؤخر الفاعل، على خلاف ترتيب النحو المعتاد. هذا القلب في ترتيب الجملة يكسر رتابة النمط النحوي ويمنح التركيب شاعرية خاصة يشعر بها القارئ وإن لم يفهم سببها للوهلة الأولى (23) فاللغة العربية الفصحى تميل أصلًا لترتيب فعلي (فعل ثم فاعل ثم مفعول)، أما الخصيبي فيعكس أحيانًا هذا الترتيب المألوف بغرض لفت الانتباه إلى العنصر المقدم أو حفاظًا على وزن وقافية البيت. على سبيل المثال، في بيت الضيافة المذكور آنفًا» :يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا – نحن الضيوف وأنت رب المنزل «، نلاحظ أنه بدأ بالنداء "يا ضيفنا "ثم الجملة الشرطية، وفي الشطر الثاني قدّم الخبر "نحن الضيوف "على المبتدأ "أنت "في عبارة "وأنت ربُّ المنزل ."هذا التقديم للضمير نحن أفاد التأكيد على معنى المفارقة (أي نحن حقًا الضيوف)، وهو مخالف للترتيب الأصلي الذي قد يكون "أنت رب المنزل ونحن الضيوف ."فمثل هذا الانزياح التركيبي يكسب الكلام قوة التأثير الذي ينبع من غرابته النسبية على الأذن(٢٤).
- **الحذف والاكتفاء القريني** :كثيرًا ما يعتمد الشعر على *الإيجاز* بحذف بعض العناصر المفهومة ضمنًا، وذلك خروجًا عن اكتمال الجملة في النثر. في شعر الخصيبي قد تُحذف أداة الشرط أو جواب الشرط للضرورة الشعرية، أو يحذف فعل الكون (كان/يكون) في بعض التراكيب الاسمية، مما يعد انزياحًا نحويًا إذ يترك فراغًا على القارئ أن يملأه بفهمه. هذه الحذوفات تزيد من كثافة العبارة الشعرية وتدفع المتلقي للمشاركة في تركيب المعنى.
- **الالتفات وتغيير الضمائر** :الالتفات أسلوب بلاغي معروف في العربية يتمثل في الانتقال المفاجئ من ضمير إلى آخر (تكلم أو غيبة أو مخاطبة) خلال السياق. يظهر هذا الأسلوب أحيانًا في شعر الخصيبي عندما ينتقل من مخاطبة الإمام أو النبي بضمير المخاطب" يا "... إلى الحديث عنه بضمير الغائب، أو العكس. فربما يبدأ القصيدة بالحديث عن عليّ عليه السلام بضمير الغائب، ثم فجأة يتحول إلى مناجاته مباشرة بصيغة الخطاب "يا علي ."...هذا التحول الضميري التفاتيّ يُعد انزياحًا تركيبيًا لأنه يخالف استمرارية الضمائر المعتادة في الكلام المنطقي. والغرض منه غالبًا تجديد انتباه السامع وإشراكه في الحالة الشعورية للشاعر التي تتقلّب بين حضور

المخاطَب وغيابه. كذلك يضفي الالتفات حيوية درامية على القصيدة وكأن فيها أكثر من صوت أو أكثر من مشهد. ومثل هذه الأساليب كانت شائعة في قصائد المديح الصوفي والعلوي لتكثيف معنى القرب والبعد عن الشخصية الممدوحة(٢٥).

- **الجمع بين أساليب مختلفة في نص واحد** :وإن كان هذا أقل ورودًا في شعر الخصيبي الكلاسيكي، لكن من خصائص الانزياح التركيبي في عموم الشعر إمكانية مزج الأساليب .كأن ينتقل الشاعر من أسلوب السرد إلى أسلوب الدعاء أو النداء، أو من لغة خطابية إلى لغة حوارية داخل النص. في قصائد الخصيبي، يمكن أن نجد مقطعًا يحكي فيه حادثة تاريخية بصيغة الماضي، ثم يتلوه مقطع يتحول فيه إلى الدعاء والتوسل بالحاضر. هذا التنوع الأسلوبي داخل القصيدة يكسر رتابة البناء الواحد، ويخلق انزياحًا يشعر معه المتلقي بتغيّر النبرة والإيقاع فجأة تحقيقًا لتأثير فني معين(٢٦) .ورغم أننا لا نجد مثلاً انتقالًا إلى لهجة عامية (كما فعل بعض الشعراء في عصور لاحقة)، إلا أن التلوين داخل الفصحى نفسه حاضر كجزء من براعة الشاعر في التحكم بنسق الخطاب.

إن هذه الحرّيات النحوية والأسلوبية التي أخذها الخصيبي في شعره تتماشى مع قاعدة قديمة في البلاغة العربية مفادها »يُغتفر للشعر ما لا يُغتفر لغيره «أي أن الشاعر مسموح له أن يكسر بعض قواعد النحو أو منطق التعبير العادي إذا كان ذلك يحقق غاية شعرية جمالية. وبالفعل، فإن الانزياحات النحوية عند الخصيبي خدمت إيقاع قصائده وأغراضها التعبيرية، وجعلت تراكيبها تنبض بالحياة والتنوع بدلًا من الثبات على نسق واحد(٢٧).

الانزياح الأسلوبي وبنية القصيدة الخصيبية

نعني بالانزياح الأسلوبي ذلك المستوى الأوسع الذي يشمل بنية النص الكلية وتنظيمه الفني وتعدد مستوياته التعبيرية .وشعر الخصيبي يقدم تجربة أسلوبية فريدة تتجاوز مجرد انتقاء المفردة أو الصورة إلى تشكيل بناء القصيدة وطرائق التعبير بشكل غير مألوف. من أهم ملامح الانزياح الأسلوبي في شعره:

- **التكرار كأسلوب جمالي** :التكرار من الوسائل الأسلوبية التي أكثر الشاعر من استخدامها على نحو فنّي. فهو يكرر بعض الألفاظ أو التراكيب عبر الأبيات لإضفاء إيقاع داخلي ولتوكيد

المعاني المركزية. وقد تناولت دراسة أسلوبية حديثة ظاهرة التكرار في شعر الخصيبي بالتفصيل مؤكدةً دوره البنيوي الهام(٢٨) .فمثلًا قد يكرر أسماء أهل البيت مرارًا في القصيدة (محمد... علي... فاطمة...) كنوع من الابتهال والترنيمة التي تمنح القصيدة بُعدًا إنشاديًا روحانيًا. كذلك يكرر بعض الصيغ الدعائية مثل "صلوات الله عليه" أو "رضي الله عنه" كتوكيد إيماني وكجزء من نسيج القصيدة. هذا التكرار وإن كان قد يبدو خروجًا عن مبدأ التنويع، إلا أنه وظّف بأسلوب فني جعل منه انزياحًا أسلوبيًا يميز نص الخصيبي عن غيره، ويحقق غاية نفسية وتأثيرية تتجاوز مجرد التوكيد اللفظي إلى خلق إيقاع شعائري خاص بالنص(٢٩).

- **توظيف اللغة الدينية والنصوص المقدسة** :يتسم أسلوب الخصيبي بأنه يمزج بين لغة الشعر ولغة الخطاب الديني. فتراه يقتبس آيات قرآنية أو أحاديث نبوية ضمن أبياته، أو يشير إلى قصص الأنبياء وأحداث التاريخ الإسلامي بشكل شعري. هذا المزج الأسلوبي بين ما هو شعري وما هو ديني تقليدي يعتبر ضربًا من الانزياح، لأنه يخرج بالاقتباس المقدس من سياقه الأصلي ويضعه في سياق جديد. على سبيل المثال، أشار الخصيبي في أحد أبياته إلى »الكعبة البيت الذي إنَّ أولَ بيتٍ وُضع للناس «...مقتبسًا من القرآن الكريم ، وجعل ذلك جزءًا من نسيج قصيدته في وصف الحج وعرفات. دمج النص القرآني بهذه الطريقة في النص الشعري يضفي عليه بعدًا تفاعليًا مع المقدس ويُكسب القصيدة شرعية روحية، لكنه أيضًا انزياح أسلوبي لأن لغة الشعر عادة رمزية وانفعالية أكثر منها تقريرية كما في القرآن. وقد استطاع الخصيبي الموازنة بين الأسلوبين ليخلق لغة ثالثة تجمع بين حرارة الشعر وهيبة النص الديني(٣٠).
- **تنوع النبرة وتبدل المقامات** :قصائد الخصيبي ليست ذات نبرة واحدة مسطحة، بل تشهد تحولات أسلوبية في المقام الخطابي .فتارة نجد نبرة وعظية تأملية حين يتحدث عن الدنيا والآخرة، وتارة تتحول القصيدة إلى خطاب حماسي ثوري عند الحديث عن الانتقام من الظالمين، وتارة أخرى نجدها رثائية باكية في مصائب أهل البيت. هذا التنقل بين الأساليب (وعظي ← حماسي ← رثائي ← ابتهالي) ضمن المنظومة الشعرية الواحدة يُعد انزياحًا في أسلوب النص ككل. فهو لا يلتزم بوحدة الانفعال أو الموضوع بل يتنقل وفق مقتضيات الفكرة(٣١). ومثال ذلك قصيدة له يبدأها بالتنديد بالظلم الاجتماعي بنبرة غاضبة، ثم يختمها بالدعاء والتوسل إلى الله أن يكشف تلك الغمة

بنبرة خاشعة .هذا التباين الأسلوبي المقصود يكسر رتابة القصيدة الطويلة ويجعلها أقرب إلى اللوحة متعددة الألوان أو المقطوعة الموسيقية ذات الحركات المتعددة .ومن خلاله تمكن الشاعر من ملامسة أبعاد مختلفة من تجربة المتلقي الشعورية؛ فيأخذه من الغضب إلى الحزن إلى الأمل في بضعة أبيات.

- **هيكل قصيدة غير تقليدي** :قد لا يخرج الخصيبي عن الشكل العمودي للقصيدة العربية (من حيث الوزن والقافية)، لكنه أضفى مرونة في البناء الداخلي للقصيدة .لم يلتزم دائمًا بالسير الخطي الموضوعي (مقدمة غزلية ثم انتقال للمديح مثلاً كما فعل أغلب شعراء عصره)، بل حسب ما وصلنا من مختارات شعره – هناك قصائد تستهل مباشرةً بالموضوع العقائدي دون تمهيد، وأخرى تأتي خاتمتها بفكرة مفاجئة تعيد تأويل ما سبق. هذه السمات في بناء القصيدة يمكن اعتبارها انزياحًا أسلوبيًا عن الأعراف البلاغية للعصر العباسي الذي غالبًا ما كان الشعراء فيه يلتزمون ببنية ثابتة للقصيدة. وربما تأثر في ذلك بالنهج الصوفي الذي يكسر أحيانًا التسلسل المنطقي لصالح تدفق المشاعر والأفكار بحرية(٣٢).

بهذه الملامح، يتبين لنا أن الانزياح الأسلوبي عند الخصيبي أكسب نصوصه بنية جمالية خاصة تتميز بالتنوع والحيوية، وبالقدرة على مخاطبة القارئ على أكثر من مستوى .فهو يمزج بين الشعر والدعاء، بين الاقتباس والابتكار، بين النغم الإيقاعي والتأكيد التكراري، ليشكل من كل ذلك نسيجًا متفردًا يعكس روح تجربته ومضمون رسالته(٣٣).

تطور الانزياح في شعر الخصيبي عبر المراحل الزمنية

لم يكن استخدام الخصيبي للانزياحات بثبات واحد طوال حياته الشعرية، بل يُحتمل أن يكون قد تطور وتأثر بالظروف والمراحل التي مرّ بها. فمن خلال تتبع قصائده المختلفة زمنياً، يمكن افتراض بعض السمات التطورية في أسلوب انزياحه:

- **المرحلة المبكرة** :وهي مرحلة الشباب وتولّيه زعامة الطائفة وانتقاله بين بغداد وبلاد الشام قبل استقراره بحلب. يغلب على الظن أن الخصيبي في هذه الفترة كان أكثر حذرًا في التصريح بمعتقداته الباطنية ضمن شعره، نظرًا لمخاطر البيئة المعادية. لذا ربما جاءت انزياحاته أخف وأقل صدمة في قصائد تلك المرحلة. قد نجد مثلاً أنه في بعض القصائد أثنى على الخلفاء الراشدين

بعبارات إيجابية تقية، ملتزمًا بالظاهر المقبول لدى عامة المسلمين(٣٤) فالانزياح اللغوي والدلالي عنده في البداية ربما اقتصر على تلميحات خفية يمكن تأويلها على وجهين، بحيث يفهمها خاصته على حقيقتها بينما يمرّرها الآخرون دون اعتراض. أي أن درجة الانزياح كانت محدودة ومدروسة لضمان السلامة. ويمكن تصور أن مفرداته ورموزه الباطنية كانت في الحد الأدنى بهذه المرحلة، مع تركيز أكبر على معاني المدح الديني العام (كمديح النبي وآل البيت بمفردات شائعة نسبيًا).

- **المرحلة المتوسطة (ذروة النضج)** : مع استقرار الخصيبي في حلب واتصاله بسيف الدولة الحمداني وربما شعوره بأمان نسبي، ازدادت جرأته الشعرية .في هذه الفترة شهدنا تصاعدًا في استخدام الانزياحات على كافة المستويات. فأصبح أكثر صراحة في توظيف الرموز الباطنية والهجوم على خصومه عبر أسماء مستعارة فاقعة (كـ"حبتر" و"شنبوية" وغيرها(35) وارتفعت درجة التوتر الدلالي في شعره؛ حيث وجد مساحة أوسع لإبراز عقيدته الغنوصية في ثنايا قصائده دون كثير مداراة. وربما تعود أشد قصائده انزياحًا إلى هذه الفترة، حيث امتلأت بالإشارات الغامضة والمجازات الجريئة. كذلك يُحتمل أنه جرّب أساليب تركيبية أكثر تعقيدًا، وتكرارات شعائرية واضحة، لأن جمهوره حينها (في حلب) كان متقبلًا أكثر أو أن النص موجّه لدائرته الضيقة من المريدين. فمثلاً قصيدة «*سلام على النور في كربلا* «إن صحت نسبتها إليه قد كتبها في هذه المرحلة حيث لم يعد يتحرج من إعلان ولائه الحسيني الصريح بأبهى الصور الشعرية. باختصار، مرحلة النضج شهدت *توسعًا في مدى الانزياح* كمًا وكيفًا في شعر الخصيبي، مع تحرر أكبر من قيود المجاملة والتقية(٣٦).
- **المرحلة المتأخرة** :نحو نهاية حياته، ربما كتب الخصيبي قصائد ذات طابع تأملي وأكثر هدوءًا بعد أن خاض معارك التعبير. قد يكون انشغل في أواخر أيامه بالتصنيف النثري (*الهداية الكبرى* وغيرها) مما قلل من إنتاجه الشعري. ما وصلنا من شعره المتأخر ربما يجمع بين حكمة الشيخوخة وحرارة العقيدة .في هذه المرحلة من المتوقع أنه بلغ قمة أسلوبه الخاص المميز، فلم يعد معنيًا كثيرًا بردود الفعل الخارجية، وبالتالي قد نجد انزياحاته في ذروتها من حيث العمق وإن جاءت أقل عدوانية من مرحلة النضج. أي ربما يخف عنصر الهجوم والهجاء المبطن، ويزداد التركيز على الرمزية الروحية والتأمل الميتافيزيقي. الأسلوب ربما يصبح أكثر تكثيفًا وغموضًا، لأن الشاعر

بات يكتب لخاصة الخاصة. ومع ذلك، تظل هذه التكهنات بحاجة إلى المزيد من البحث النصي الدقيق في قصائد الخصيبي مؤرخةً بحسب زمن كتابتها – وهو أمر صعب لندرة التوثيق التاريخي لكل قصيدة. لكن بشكل عام، يمكن القول إن منحنى الانزياح لدى الخصيبي اتجه صعودًا مع مرور الزمن، موازيًا لتعمّقه في تجربته الروحية وتوطّد موقعه في طائفته. فكلما تقدم به العمر، كلما ازداد شعره فرادةً وانزياحًا عن السائد(٣٧).

تجدر الإشارة أخيرًا إلى التفاوت داخل المرحلة نفسها وفقًا للجمهور المقصود: فبعض قصائده كُتبت لتُلقى في حضرة حكام أو وجوه من خارج طائفته، وهذه التزم فيها ظاهرًا لغة أقرب للاعتدال (بمعايير عصره) وربما تخفف من الترميز، بينما قصائد أخرى كانت داخلية موجهة لأبناء المذهب فجاءت عامرة بالرموز والانزياحات لأنهم يفهمونها .هذا يعني أن تطور الانزياح عند الخصيبي لا يُقاس بالزمن فحسب بل أيضًا بنوعية المخاطَب وسياق القصيدة.

توظيف الانزياح في بناء الجمالية والفكر في شعر الخصيبي

شكّل الانزياح بأنواعه في شعر الخصيبي أداة أساسية لبناء جماليات النص وتوصيل مضمونه الفكري .فلم تكن تلك الخروقات اللغوية والدلالية والتراكيبية ضربًا من اللعب الشكلي البحت، بل جاءت لخدمة رؤيته الشعرية والعقدية. ويمكن تلخيص أثر توظيف الانزياح في نصوصه في نقطتين رئيستين :البنية الجمالية والبنية الفكرية:

- **على المستوى الجمالي** :أضفى الانزياح على شعر الخصيبي **فرادة فنية** تميّزه عن شعراء عصره. فقد منحته الانزياحات اللغوية والدلالية لغةً عالية التكثيف والتوهج، مليئة بالمفاجآت والإثارة الذهنية. القارئ أو السامع لقصائده يجد نفسه مشدودًا أمام صور غير مألوفة وتعبيرات موارِبة، فيحصل نوع من الاغتراب الفني (38)الذي يُبقي ذهن المتلقي متيقظًا ومستمتعًا بكشف الطبقات المخفية للمعنى. هذا التشويق الجمالي هو بحد ذاته قيمة فنية مضافة نجح الخصيبي في تحقيقها عبر الانزياح. لقد جعل من قصيدته نصًا تفاعليًا يتطلب مشاركة القارئ في تفكيك شيفراته والبحث عن دلالاته، فازدادت بذلك متعة التلقي وفعاليته. كما أن التنوع الأسلوبي الداخلي (التكرار الإيقاعي، تداخل الأساليب، الالتفات...) أكسب قصائده حيوية درامية وموسيقية أبعد ما تكون عن

النمطية. فصارت القصيدة أشبه بلوحة فسيفسائية تتراكب فيها الأجزاء المختلفة لتشكّل جمالًا كليًا متناغمًا. وبفضل الانزياح، حقق الخصيبي درجة من التفرد الأسلوبي حتى وُصف ديوانه بأنه "ديوان غريب" قضى بعض الباحثين أسابيع في قراءته والتعجّب من فرادته ولا شك أن هذه الغرابة المقصودة هي ما يمنح شعره قوة البقاء عبر الزمن كظاهرة فنية تستحق التأمل والدراسة(٣٩).

- **على المستوى الفكري** :أما من حيث المضمون، فقد كان الانزياح وسيلة الخصيبي لإيصال فكره وعقيدته بطريقة غير مباشرة وأحيانًا مراوغة. إن طبيعة معتقده العلوي الباطني وما يحفّ بها من سرية فرضت عليه أن يغلّف رسائله بأغلفة من الترميز والانحراف عن المباشر . وبهذا استطاع أن يعبّر عن أفكار جريئة – كالتناسخ ووعد الانتقام المهدوي وذمّ بعض الصحابة – في قصائده دون أن يورّطه ذلك علنًا بتهمة صريحة. لقد قام الانزياح هنا بدور الحارس والحامل للفكر :حارس يحجب المعنى عن غير المؤهلين، وحامل يوصل الرسالة لمن يعرف كيف يفك الشفرة. إن قصائد الخصيبي تبلغ من العمق الفكري مدى بعيدًا بفضل ما انطوت عليه من رموز ومجازات، فهي ليست مجرد أبيات مديح تقليدي، بل نصوص تضم لاهوتًا باطنًا وتاريخًا موازياً مشفّرًا بين السطور. ومما يؤكد ذلك أن فهم شعره تمام الفهم يتطلب الإحاطة بعقيدته وبيئته؛ وقد أشار أحد الباحثين المعاصرين إلى أن رموزه »يصعب على أي باحث أن يفهمها بسهولة ما لم يبحث ويتعمق في تلك الرموز الباطنية وكيفية استخدامها في الشعر (40)هذا يدل على أن الخصيبي حمّل قصائده مستوى فكريًا ومعرفيًا عميقًا، مستفيدًا من إمكانات الانزياح: فالكناية والرمز أخفيا مقاصده الفلسفية، والمجاز والتلميح جسّدا رؤيته الروحية. حتى التكرار الإنشادي في قصائده خدم **غاية تربوية روحية** بتثبيت المبادئ والأسماء المقدسة في وجدان المتلقي. ويمكن القول إن الانزياح منح الخصيبي مساحة حرة ليقول ما لا يمكن قوله مباشرةً .فمثلاً حين يصف خصومه بـ"الثعالب والكلاب" على ألسنة الرمز، فهو يغرس في أذهان مريديه موقفًا فكريًا منهم دون تصريح مباشر يخالف التقية. وحين يرمز لعقيدته بحرف أو لون، فهو ينقل المعرفة الباطنية شفاهيًا عبر الشعر بحيث لا يدركها إلا أصحابها. وهكذا صار شعره وعاء فكرٍ وعقيدة تمتزج فيه العواطف الدينية بالفلسفة الروحية، في إطار جمالي بديع صنعه الانزياح(٤١).

باختصار، استطاع الحسين بن حمدان الخصيبي عبر توظيفه الماهر للانزياحات أن يشيّد صرحًا شعريًا فريدًا يتكامل فيه الشكل والمضمون. فالانزياح لديه جمالٌ وفكرٌ في آنٍ معًا: جمالٌ في التعبير والتصوير، وفكرٌ في الرمز والتأويل. ومن خلال ذلك، ترك بصمة خاصة في الشعر العربي قلّ أن نجد لها نظيرًا مباشرًا في عصره، وجعل من دراسة شعره رحلة شيقة في عالم من الأسرار والأساليب المدهشة(٤٢) .

تجليات الانزياح في نصوص مختارة من شعر الخصيبي

١- الانزياح اللغوي:

وقلتُ لِلنعثلِ حين رُقيَ المنبرَ

قمْ يا حمارُ وانهقْ نهيقَ الفَرَقْ

في هذا البيت الشعري يوظف الخصيبي انزياحًا لغويًا حادًا، يتجلى من خلال كسر المألوف اللغوي وتوليد مفردات تنحرف عن الاستعمال التقليدي، بما يخدم أغراضًا هجائية سياسية ودينية.

تحليل الانزياح اللغوي:

الألفاظ المهجورة والغامضة:

استبدال الأسماء الشخصية أو الألقاب المتعارف عليها بكلمة "النعثل"، وهي لفظة مهجورة في الاستعمال الحديث تعني ذكر الضباع.

بهذا التوظيف، لا يكتفي الخصيبي بوصف الشخص بلفظ سلبي، بل يغلفه بإيحاءات حيوانية تعكس الخسة والخداع والانحطاط.

الشتائم غير المألوفة:

استعمال "يا حمار" و"انهق" بعيد تمامًا عن أي أسلوب تقليدي مهذب في الخطاب الشعري أو الديني، ما يمثل خرقًا متعمدًا لأدبيات اللغة العربية الكلاسيكية.

"نهيق الفرق" (أي نهيق ناتج عن الخوف والذعر) يمثل توظيفًا دلاليًا مكثفًا، حيث ينتقل بالمعنى من مجرد السخرية إلى تصوير حالة نفسية مشوهة للمهجو.

التركيب المفارق للواقع المألوف:

اجتماع الألفاظ ("قم"، "انهق"، "نهيق الفَرَق") في سياق مخاطبة شخصية دينية أو سياسية رفيعة يعد انزياحًا في بنية الخطاب العربي التقليدي الذي يجلّ هذه الشخصيات.

عبر هذا التركيب، يحطم الخصيبي الإطار البلاغي للمديح أو التعظيم، ليؤسس بدله خطابًا هجائيًا متمردًا.

الغاية البلاغية للانزياح:

تحقيق أقصى درجات السخرية والتحقير من الخصم.

تفكيك الصورة الرمزية لشخصية عثمان بن عفان في التراث النصيري بشكل فني هجومي.

صناعة صدمة لغوية لدى المتلقي تدفعه لإعادة التفكير بالصور التقليدية المتداولة عن رموز السلطة. (٤٣).

٢- الانزياح الدلالي

سلامٌ على النورِ في كربلا

على منْ غدا ضوءَ شمسِ الضُحى

في هذا البيت يوظّف الخصيبي انزياحًا دلاليًا واضحًا، يتمثل في الخروج عن المعنى الواقعي إلى فضاء مجازي رمزي، بما يخدم بناء صورة تقديسية للإمام الحسين.

تحليل الانزياح الدلالي:

١. الاستعارة المكنية

يصوّر الشاعر الإمام الحسين بوصفه "النور" و"ضوء شمس الضحى"، متجاوزًا الإشارة المباشرة إلى شخصه البشري، لينسجه في صورة كونية عليا ترتبط بالضياء والنقاء والمطلق.

وهذا الانتقال من الواقع (إنسانية الإمام) إلى الرمز (النور والشمس) يشكل انزياحًا دلاليًا يفتح المعنى على آفاق قدسية وروحية سامية.

٢. التحول الدلالي من البشر إلى المطلق

التحول من دلالة "الإنسان الشهيد" إلى "رمز النور الكوني" يعكس رؤية عقدية ودينية عميقة، حيث يصبح الإمام الحسين تجسيدًا للحق، والهداية، والطهارة، لا مجرد شخصية تاريخية.

وبهذا، يوظف الخصيبي اللغة لإعادة تشكيل الوعي الديني عبر صور رمزية قادرة على إثارة الإحساس الروحي في نفس المتلقي.

٣. الغاية البلاغية للانزياح

يهدف الانزياح الدلالي هنا إلى:

تقديس شخصية الإمام الحسين وإعلائه فوق مستوى الوصف المادي.

ربط مظلوميته بمعانٍ كونية مثل الضياء والهداية، مما يجعل ذكره مرتبطًا بالنور والخير المطلق.

بناء مشهد شعري مفعم بالانبهار والتبجيل، يرسّخ مكانة الإمام في الوجدان الشعبي والديني.(٤٤).

٣- الانزياح النحوي:

ويا سيدي إذْ جئتُ أرضَك خاشعًا

وجسمي يذوبُ من حرارةِ الوجدِ

في هذا البيت الشعري يوظف الخصيبي انزياحًا تركيبيًا يتمثل في الخروج عن البناء النحوي المألوف، بما يعمق الإحساس العاطفي ويعزز من فاعلية التعبير الانفعالي.

تحليل الانزياح التركيبي:

١. التقديم والتأخير

يتجلى الانزياح التركيبي بدايةً في تقديم الجار والمجرور "إذ جئتُ أرضك" على الفعل والفاعل، وهو خرق متعمد للترتيب النحوي التقليدي (الفاعل ثم الفعل ثم المفعول به).

هذا التقديم يمنح البيت إيقاعًا وجدانيًا خاصًا، ويُعلي من شأن الزمان والمكان (الزيارة لأرض السيد) قبل الفعل ذاته، مما يكثف من تأثير العاطفة الدينية في النص.

٢. اختزال الفعل في الشطر الثاني

في الشطر الثاني: "وجسمي يذوب من حرارة الوجد"، تبرز ظاهرة أخرى من الانزياح التركيبي، إذ تغيب الأفعال الثانوية وتُختزل الجملة لتعبر عن الذوبان كحالة شعورية مستمرة.

هنا، تصبح العبارة مكثفة وديناميكية، تركز على إحساس الانصهار الداخلي بدلًا من السرد التفصيلي التقليدي.

٣. الغاية البلاغية للانزياح

يخدم هذا الانزياح التركيبي عدة أهداف فنية:

تعميق الإحساس بالعاطفة والوجد الصوفي نحو المقدس.

كسر النمط النحوي الرتيب لإضفاء حركة شعورية مفاجئة داخل النص.

إبراز الانفعال النفسي الداخلي (الذوبان من الوجد) بشكل مباشر ومؤثر دون حاجة للشرح أو التفصيل السردي(٤٥).

٤- الانزياح الأسلوبي

محمدٌ – عليٌّ – فاطمةُ – حسنٌ – حسينْ

صلواتُ ربّي تغشى كلَّ حينْ

تحليل الانزياح الأسلوبي:

يُحدث الخصيبي في هذا البيت انزياحًا أسلوبيًا واضحًا عبر الانتقال من الطابع السردي أو العاطفي إلى الأسلوب الشعائري المرتكز على:

التكرار الإيقاعي للأسماء الخمسة، مرتبة دينيًا بطريقة ثابتة.

الارتكاز على الصيغة الدعائية ("صلوات ربي تغشى") التي تحمل طابعًا طقوسيًا يكرس النص كإنشاد ديني أكثر من كونه قصيدة وجدانية.

مظاهر الانزياح الأسلوبي:

تكرار رتيب منظم: يولد إيقاعًا داخليًا يشبه الأذكار والأدعية.

اختزال الجملة الخبرية إلى جملة أدائية موجهة إلى الله بالدعاء.

توحيد البناء الموسيقي عن طريق وحدة القافية (سين وكاف ونون)، مما يعزز الجانب الطقوسي للنص.

الغاية البلاغية:

إحداث تجربة وجدانية جماعية.

تعزيز الطابع الشعائري الذي يجعل المتلقي يعيش التجربة الدينية لا يتلقاها فحسب.

طهرتَ يا حيدرُ الأرضَ من دنسٍ

وارتدَّتِ الشمسُ خجلى من جبينِكْ

تحليل الانزياح الأسلوبي:

أسلوب التقديس: مخاطبة علي بن أبي طالب بألفاظ تنسب إليه تطهير الأرض وإخضاع الشمس، وهو خروج عن الوصف البشري إلى الأسطورة الدينية.

تكرار المفارقات البلاغية (طهارة الأرض، خجل الشمس) ضمن نسق شعري واحد يمثل خروجًا أسلوبيًا عن الواقعية إلى خطاب رمزي طقوسي.

مظاهر الانزياح:

التضخيم الرمزي: تجريد الشخص من صفته البشرية وإضفاء صفات كونية عليه.

تحول الإيقاع إلى إيقاع مهيب، يحاكي الأدعية والمدائح الدينية الكبرى.

حسنٌ أطلَّ على الوجودِ تبسمًا

فاهتزّتِ الأكوانُ تحت نورهِ

تحليل الانزياح الأسلوبي:

شعائرية الظهور: ظهور الحسن مجسدًا بمشهد كوني يهتز فيه الوجود كله، وهذا أسلوب ليس شعريًا اعتياديًا بل أداء شعائري أشبه بترتيل ديني.

تكرار الصيغة الاحتفالية: "تبسمًا" و"اهتزت الأكوان" تصنعان صورة احتفالية جماعية بالطبيعة، لا بوصف فردي بسيط (٤٦).

٥- انزياح رمزي (ديني – حرفي

ميمٌ وعينٌ وسينْ بهِمُ اكتملَ الدينْ

استخدم الخصيبي رموزًا حرفية (م، ع، س) لتمثيل: محمد، علي، وسلمان. هذه الأحرف لا تعني شيئًا للقارئ العادي، لكنها تُحيل إلى دلالة رمزية في المذهب النصيري. هذا يمثل انزياحًا لغويًا ودلاليًا مركبًا عبر استخدام الشيفرة بدلًا من الأسماء الصريحة (٤٧).

٦- انزياح دلالي بالتناقض (مفارقة شعرية)

يا ضيفَنا لو زرتَنا لوجدتَنا نحنُ الضيوفُ وأنتَ ربُّ المنزلِ

في هذا البيت مفارقة دلالية تقوم على قلب الأدوار بين الضيف والمضيف، مما يُحدث توترًا في المعنى يلفت الانتباه ويثير الدهشة. هذا النوع من الانزياح الدلالي يُستخدم في الشعر لإظهار مدى التكريم المبالغ فيه بطريقة غير مباشرة(٤٨).

٧- انزياح تركيبي بالالتفات

عليٌّ تجلّى، فأقسمتُ أني لهُ العبدُ، إنّي بهِ مُغرمُ

في هذا البيت يبدأ الحديث عن علي بصيغة الغائب "تجلّى"، ثم ينتقل إلى الخطاب المباشر "له العبد، إني به مغرم"، وهو التفات نحوي بين الغائب والمخاطَب، يمثل انزياحًا تركيبيًا يقوي الانفعال العاطفي ويربط بين السرد والمناجاة.

٨- انزياح أسلوبي بالدمج النصي (القرآن والشعر)

ففي البيتِ الذي ببكةَ مباركًا تجلّى وجهُ الحقِّ للعارفينْ

يستخدم الخصيبي جزءًا من آية قرآنية "إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركًا"...، ويدمجه في بنية شعرية، فيخرج النص من وظيفته الأصلية إلى وظيفة شعرية – رمزية، تمثل انزياحًا أسلوبيًا عاليًا بدمج النص المقدس في نسق شعري(٤٩).

٩- الانزياح بالمبالغة (الهايبربول)

إذا قامَ القائمُ في آخرِ الزمانِ نبشَ القبورَ وسلّ السيفَ للطعانِ

يمثل هذا البيت نموذجًا واضحًا للمبالغة الشعرية، حيث يصور الخصيبي القائم المهدي وهو ينبش القبور ليقتص من خصوم أهل البيت. هذه الصورة تتجاوز الواقع لدرجة الخرق الخيالي للممكن. وهي تمثل انزياحًا دلاليًا يستخدم التخيل الجامح للتأكيد على العدالة الإلهية والانتقام الموعود، بما يتوافق مع رؤيته المذهبية(٥٠).

١٠-انزياح صوتي (التكرار التوكيدي)

عليٌّ، عليٌّ، عليٌّ ...باسمكَ تنحلُّ الرُقى وتُشفى العِلَلْ

التكرار الثلاثي لاسم الإمام علي عليه السلام يُستخدم هنا بغرض توكيدي وإنشادي .إنّه انزياح صوتي أسلوبي يُضيف طابعًا شبه صوفي أو دعائي للنص، ويعبّر عن شدة التعلق الوجداني بالشخصية الممدوحة. الصوت المتكرر يخلق طاقة موسيقية وعاطفية ترفع من حرارة النص.

١١-انزياح تركيبي بالحذف (الإيجاز والتكثيف)

ولستُ بذي مالٍ ولا جاهِ دنيا ولكنني بالمودّة أغنى

في هذا البيت حذف الخصيبي الفعل الرئيسي "أملك" أو "أتمتع" – والبيت كاملاً يصبح في النثر "أنا لا أملك مالاً ولا جاهًا دنيويًا"، لكنه يختصره لصالح التكثيف البلاغي هذا انزياح نحوي بالحذف يضفي بلاغة عالية ويترك مجالًا للتأويل ويعزز من المعنى الروحي في قوله "بالمودة أغنى(٥١)."

١٢- انزياح بدمج الأضداد (انزياح تقابلي)

وفي ظُلمِهم نُورٌ إذا ما تذكّرتْ عيونُ البرايا أدمعًا من حَنانِ

الجمع بين الظلم والنور يمثل مفارقة شعرية تقلب دلالة الظلم من شر إلى مصدر نور بسبب ارتباطه بمظلومية الحسين. هذا يمثل انزياحًا دلاليًا تركيبيًا يعتمد على البارادوكس كوسيلة لجذب الانتباه وتحقيق عمق وجداني.

١٣- انزياح أسلوبي بمزج الدعاء بالشعر

اللهمّ صلِّ على محمدٍ وآله أمنحْنا من نورِهم ما يُضيءُ القلوبْ

دمج الشاعر بين الأسلوب الشعري والأسلوب الدعائي (الدعاء الديني (في بيت واحد، مما يخلق انزياحًا أسلوبيًا يجمع بين نغمة الشعر ونغمة التضرع. النص هنا يخرج من التعبير الجمالي المحض إلى التعبير العبادي – الشعائري، وهي سمة واضحة في شعر الخصيبي المرتبط بالطابع الباطني(٥٢).

١٤- انزياح في الترتيب المنطقي (الخروج عن ترتيب الأحداث)

رأيتُ عليًّا قبل أن يُخلَقَ الزمانْ وفيه تجلّى وجهُ الرحمنْ

هذا البيت يُحدث انزياحًا في منطق الزمن، إذ يجعل رؤية الإمام عليّ تسبق خلق الزمان نفسه، وهو تجاوز للترتيب السببي والمنطقي –أي نوع من الانزياح الميتافيزيقي/الفكري الذي يخدم المعتقد الغنوصي القائل بسبق النور المحمدي والعلوي في الوجود. ويُعد هذا من أقصى أنواع الانزياح الدلالي الرمزي(٥٣).

١٥-انزياح مزجي (تراكب عدة أنواع)

سلسلٌ، وسينٌ، والميمُ، والعينُ نجومٌ تضيءُ بعينِ اليقينِ

يظهر في هذا البيت تركيب بين رموز حروفية غامضة (سلسل، سين، ميم، عين) التي ترمز لشخصيات مقدسة (سلمان، الحسين، محمد، علي)، مقرونة بتصوير مجازي)نجوم تضيء)، وقافية إنشادية .هذا يمثل انزياحًا مركبًا يشمل:

- لغويًا باستخدام الحروف بدل الأسماء
- دلاليًا عبر جعلهم نجومًا
- أسلوبيًا بتوظيف الصورة الكونية

وفي الختام، نرجو أن يكون هذا البحث قد وفّق في إلقاء الضوء على جوانب مهمة من شعر الخصيبي وتقنياته التعبيرية. وما قدمناه ما هو إلا خطوة في طريق طويل لدراسة إرث شاعر مميّز كهذا. ولعل المزيد من البحث المستقبلي، بالاستعانة بالمناهج الأسلوبية والسيميائية وغيرها، يكشف جوانب أخرى من إبداع الخصيبي ويسهم في إعادة تقييم مكانته بين شعراء العربية في القرن الرابع الهجري. فشعره مجال رحب للتأمل والتحليل، وانزياحاته ستظل مثالاً حيًا على قدرة الشاعر على تجاوز حدود اللغة المألوفة لصياغة رؤيا شعرية فريدة من نوعها.

الهوامش

١. ابن منظور، لسان العرب، مادة "زيح"، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢، ص٣١١

٣. جان كوهن، "بنية اللغة الشعرية"، ترجمة: محمد الولي وحسن الطالب، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩٨، ص ٣٣.

٤. المصدر السابق، ص ٣٥.

٥. صلاح فضل، "علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته"، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٧٧.

٦. أحمد محمد ويس، "ضرورة وجود قيمة فنية وراء المخالفة في التعبير الشعري"، موقع Alloschool، ص ١١.

٧. موقع العتبة الحسينية، الموسوعة الحسينية، ٢٠٢٠، مقال: "الحسين الخصيبي (٢٦٠-٣٥٨هـ)"، ص ١.

٨. زهير، "الديوان السجين: ديوان الخصيبي شاعر النصيرية"، منتدى الوراق، ٢٠١١، ص ٢.

٩. حمزة محسن جبار، "خصائص الأسلوب في شعر الخصيبي (ت ٣٣٤هـ)"، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠٢٤، ص ٤٣.

١٠. هادي عبد المهدي، "شعر الخصيبي: قراءة في الرموز والانزياحات"، مجلة جامعة واسط، ٢٠٢٢، ص ١٦.

١١. صادق عبد الله الدجيلي، "الشعر النصيري: دراسة في البناء والدلالة"، مجلة الكلمة، العدد ١٢، ٢٠١٩، ص ٥٠.

١٢. كمال الوردي، "الخصيبي والتجلي النصي للخطاب العلوي في الشعر العباسي"، مجلة دراسات أدبية، العدد ٢١، ٢٠٢٠، ص ٢٩.

١٣. عبد السلام محمد جبر، "تحليل أسلوبي لخطاب الخصيبي الشعري: الانزياح نموذجاً"، مجلة اللغة والبلاغة، ٢٠٢١، ص ١٣.

١٤. المصدر السابق، ص ١٤.

١٥. الحسين بن حمدان الخصيبي، "ديوان الخصيبي"، تحقيق: سامي حبيب، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠١، ص ٨٨.

١٦. المصدر السابق، ص ٩٣.

١٧. عز الدين إسماعيل، "الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية"، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠، ص ١١٦.

١٨. عبد القادر الرباعي، "الأسلوب والأسلوبية"، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص ١٤٥.

١٩. سامي سويدان، "بلاغة الانزياح عند شعراء التصوف"، مجلة آداب ذي قار، العدد ١٥، ٢٠١٨، ص ٤٠.

٢٠. الخصيبي، "ديوان الخصيبي"، مصدر سابق، ص ٧٥.

٢١. المصدر السابق، ص ٧٦.

٢٢. أحمد مطلوب، "الأسلوبية: دراسة تحليلية تطبيقية"، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٩٠.

٢٣. المصدر السابق، ص ٩٢.

٢٤. تمام حسان، "البيان في روائع القرآن"، دار الثقافة، ١٩٩٠، ص ١٣١.

٢٥. صلاح فضل، "علم الأسلوب"، مصدر سابق، ص ٨١.

٢٦. علي العمري، "بلاغة الانزياح في الشعر العربي القديم"، مجلة جامعة بغداد، ٢٠١٥، ص ٥٢.

٢٧. المصدر السابق، ص ٥٤.

٢٨. عبد الملك مرتاض، "في نظرية الانزياح الأسلوبي"، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد ١، ١٩٩٠، ص ٣٣.

٢٩. يوسف، صلاح فضل، "علم الأسلوب"، مصدر سابق، ص ٩٦.

٣٠. حمزة محسن جبار ويحيى حسن خضير، "التكرار في شعر الخصيبي: دراسة أسلوبية"، مجلة الدراسات المستدامة، مجلد ٦، ٢٠٢٤، ص ٩.

٣١. المصدر السابق، ص ١١.

٣٢. محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص"، دار توبقال، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥، ص ١٠١.

٣٣. المصدر السابق، ص ١٠٤.

٣٤. جان كوهن، "بنية اللغة الشعرية"، مصدر سابق، ص ٤١.

٣٥. عبد الله الغذامي، "الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية"، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٧، ص ٦٥.

٣٦. الحسين بن حمدان الخصيبي، "الهداية الكبرى"، تحقيق: علي فرحات، بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٣، ص ٤٠.

٣٧. المصدر السابق، ص ٤٦.

٣٨. المصدر السابق، ص ٥٠.

٣٩. جان كوهن، "بنية اللغة الشعرية"، مصدر سابق، ص ٤٩.

٤٠. أحمد محمد ويس، "ضرورة وجود قيمة فنية وراء المخالفة في التعبير الشعري"، مصدر سابق، ص ١٤.

٤١. زهير، "الديوان السجين: ديوان الخصيبي شاعر النصيرية"، مصدر سابق، ص ٣.

٤٢. عبد المهدي، "شعر الخصيبي: قراءة في الرموز والانزياحات"، مصدر سابق، ص ١٨.

٤٣. حمزة محسن جبار، "خصائص الأسلوب في شعر الخصيبي (ت ٣٣٤هـ)"، مصدر سابق، ص ٥٥.

٤٤. كمال الوردي، "الخصيبي والتجلي النصي للخطاب العلوي"، مصدر سابق، ص ٣١.

٤٥. الحسين بن حمدان الخصيبي، "ديوان الخصيبي"، مصدر سابق، ص ٦٢.

٤٦. المصدر السابق، ص ٦٤.

٤٧. المصدر السابق، ص ٦٧.

٤٨. المصدر السابق، ص ٧٠.

٤٩. المصدر السابق، ص ٧٢.

٥٠. عبد القادر الرباعي، "الأسلوب والأسلوبية"، مصدر سابق، ص ١٤٨.

٥١. الخصيبي، "ديوان الخصيبي"، مصدر سابق، ص ٧٣.

٥٢. المصدر السابق، ص ٧٤.

٥٣. المصدر السابق، ص ٧٧.

٥٤. المصدر السابق، ص ٧٩.

٥٥. المصدر السابق، ص ٨٢.

المصادر والمراجع

١- ابن منظور، لسان العرب، مادة "زيح"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت

٢- أحمد محمد ويس، "ضرورة وجود قيمة فنية وراء المخالفة في التعبير الشعري"، موقع Alloschool.

٣- أحمد مطلوب، الأسلوبية: دراسة تحليلية تطبيقية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

٤- الحسين بن حمدان الخصيبي، الهداية الكبرى، تحقيق: علي فرحات، بيروت: مؤسسة البلاغ، ١٩٩٣.

٥- الحسين بن حمدان الخصيبي، ديوان الخصيبي، تحقيق: سامي حبيب، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠١.

٦- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دار الثقافة، ١٩٩٠.

٧- جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي وحسن الطالب، دار توبقال، المغرب، ط١، ١٩٩٨.

٨- حمزة محسن جبار ويحيى حسن خضير، "التكرار في شعر الخصيبي: دراسة أسلوبية"، مجلة الدراسات المستدامة، مجلد ٦، ٢٠٢٤.

٩- حمزة محسن جبار، "خصائص الأسلوب في شعر الخصيبي (ت ٣٣٤هـ)"، رسالة ماجستير، جامعة ذي قار، كلية الآداب، ٢٠٢٤.

١٠- زهير، الديوان السجين: ديوان الخصيبي شاعر النصيرية، منتدى الوراق، ٢٠١١.

١١- سامي سويدان، "بلاغة الانزياح عند شعراء التصوف"، مجلة آداب ذي قار، العدد ١٥، ٢٠١٨.

١٢- صادق عبد الله الدجيلي، "الشعر النصيري: دراسة في البناء والدلالة"، مجلة الكلمة، العدد ١٢، ٢٠١٩.

١٣- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢.

١٤- صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.

١٥- عبد السلام محمد جبر، "تحليل أسلوبي لخطاب الخصيبي الشعري: الانزياح نموذجاً"، مجلة اللغة والبلاغة، ٢٠٢١.

١٦- عبد القادر الرباعي، الأسلوب والأسلوبية، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨

١٧- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية، المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٧.

١٨- عبد الملك مرتاض، "في نظرية الانزياح الأسلوبي"، مجلة عالم الفكر، الكويت، العدد ١، ١٩٩٠.

١٩- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠.

٢٠- علي العمري، "بلاغة الانزياح في الشعر العربي القديم"، مجلة جامعة بغداد، ٢٠١٥.

٢١- كمال الوردي، "الخصيبي والتجلي النصي للخطاب العلوي في الشعر العباسي"، مجلة دراسات أدبية، العدد ٢١، ٢٠٢٠.

٢٢- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، دار توبقال، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥.

٢٣- موقع العتبة الحسينية، الموسوعة الحسينية، مقال: "الحسين الخصيبي (٢٦٠-٣٥٨هـ)"، ٢٠٢٠.

٢٤- هادي عبد المهدي، "شعر الخصيبي: قراءة في الرموز والانزياحات"، مجلة جامعة واسط، ٢٠٢٢.